مفهوم الإصلاح في الإسلام
عمر بن عبد العزيز نموذجا

إعداد

غازي سعيد البحر الرواس

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه فى معارف الوحي والتراث (قسم أصول الدين ومقارنة الأديان)

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

أغسطس ٢٠١٠م

ملخص البحث

هذا البحث عن مفهوم الإصلاح في الإسلام ويتخذ من فترة عمر بن عبد العزيز نموذجاً للدراسة. ويقوم البحث بتحليل مفهوم الإصلاح في الإسلام في ميدانه الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وذلك للوصول الى تعريف عام لمفهوم الاصلاح. ثم تقوم الدراسة بتطبيق هذا التحليل على فترة عمر بن عبد العزيز قبل الوصول الى نتائج البحث. قام منهج البحث على اعتماد المنهج الاستقرائي في جمع متناثرات الموضوع في آيات القرآن الكريم وكتب السنة الصحاح وكتب التفسير ومعاجم اللغة، مشفوعاً بقراءات السابقين واللاحقين حول مفهوم الاصلاح في الاسلام، وكذلك باعتماد المنهج التحليلي بغية رسم المناهج والرؤى التي حوتها المدارس الفكرية المختلفة عن مفهوم الإصلاح. ويقوم البحث على انتهاج المقارنة سبيلاً للموازنة بين مفهوم الإصلاح عند عمر بن عبد العزيز مع من سبقه من الخلفاء مقرونة بقراءتنا لعصر عمر بن عبد العزيز والمقومات التي ساعدت في تكوين شخصيته والعوامل الداخلية والخارجية التي أثرت على فترة خلافته. توصلت الدراسة الى أن الشخصية القيادية والصفات الذاتية لعمر بن عبد العزيز كانت عاملاً مشتركاً وراء النجاحات الإصلاحية في ميادين الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي في فترة خلافته. بالإضافة الى ذلك، وجدت الدراسة أن تربية عمر بن عبد العزيز وخروجه من داخل البيت الأمور أسهمتا بصورة كبيرة في نجاحاته الاصلاحية. وفي إجمالها، وجدت الدراسة أن الإصلاح الداخلي يجد حظاً أوفر من النجاح في الدول الإسلامية خلال تاريخها القديم والحديث، أكثر من الثورات وعمليات الإصلاح المفروضة من الخارج.

ABSTRACT

This study analyzes the concept of reform in Islam (MafhËm al-IÎlÉÍ fi al-IslÉm) taking as an example the period of the Caliph ÑUmar Ibn ÑAbdul ÑAzÊz. The study examines the concept of reform in four different fields related to religious reform (al-IÎlÉÍ al-DÊni), social reform (al-IÎlÉÍ al-IjtimÉÑi), political reform (al-IÎlÉÍ al-SiyÉsi), and economic reform (al-IÎlÉÍ al-IqtiÎÉdi) in order to reach into general definition of reform in Islam. The study analyzes the reform in these fields during the era of ÑUmar Ibn ÑAbdul ÑAzÊz. The method of data analysis relies on the historical analytical approach. The data for this research is derived from major sources of no-survey data, namely theoretical, historical, sociological and political studies published in books, articles, journals and newspapers that belong to various periods of time. Statistical data is utilized whenever necessary, but in the final analysis the thesis is primarily qualitative rather than quantitative. The results of the study indicate that the charisma and leadership qualities of ÑUmar Ibn ÑAbdul ÑAzÊz was a uniform consideration behind the reform achievement in all four fields of reform analyzed by the case studies. However, the upbringing of ÑUmar Ibn ÑAbdul ÑAzÊz and his gradual uprising from within the Umayyah family contributed tremendously to the success of his reform. Overall, the study found that internal reform, rather than revolutions and externally-imposed reforms, are bound to succeed and contribute to some degree of institutionalization of reform in Islamic countries.

APPROVAL PAGE

The dissertation of Sheikh Ghazi Said Al Bahar Al Rawas has been approved by the following:

_____
Ibrahim Mohamed Zein
Supervisor

_____
Ahmed Ibrahim Abu Shouk
Internal Examiner

_____
Ko Nakata
External Examiner

_____
Nasr El Din Ibrahim A. Husein
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Sheikh Ghazi Said Al Bahar Al Rawas

Signature..... Date:.....

الجامعة الإسلامية العالمية– بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعيّة استخدام الأبحاث غير المنشورةحقوق الطبع ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م محفوظة لـ: تاج الدين يوسف

مفهوم الإصلاح فى الإسلام: عمر بن عبد العزيز نموذجا

لايجوز إعادة إنتاج، أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أيّ شكل وبأيّة صورةٍ (آلية كانت أو إلكترونيةً أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ، أو التسجيل من دون إذنٍ مكتوبٍ من الباجث إلاّ في الحالة الآتية:

١. يمكن للآخرين اقتباس أيّة مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النصّ المقتبس، وتوثيق النص بصورة مناسبة.
٢. يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آليّة) لأغراض مؤسستها التعليميّة، وليس لغرض البيع العام.
٣. يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بمابيزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
٤. سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا بعنوانه مع مع إعلامها عند تغيره.
٥. سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريديّ أو الإلكترونيّ المتوفّر في المكتبة. وإذا لم يستجب الباحث خلال غشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقّها في تزويد المطالبين به.

أكّد هذا الإقرار: غازي سعيد البحر الرواس

التوقيع ..... التاريخ .....

يشرفني أن أهدي هذه الرسالة إلى كل من تولدت لديه النية الخالصة والصادقة لإظهار ديننا الحنيف فكراً وعملاً قوامه النصيحة واحترام وحدة الإنسان أياً كان.

الشكر والتقدير

أولاً حمداً وشكراً أبدأ به هو حمد الله تعالى الذي أنعم عليّ بنعماه العظيمة وأصلي وأسلم على سيدي وحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقدم شكري الجزيل بعد هذا موصولاً إلى الجامعة "الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا" إدارة وأساتذةً على ما لقيته من ترحيب وتيسير. وشكري الخاص مقدم لكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية وأخص بالذكر قسم أصول الدين ومقارنة الأديان وعلى رأسهم الدكتور رئيس القسم.

كما أتقدم بجزيل شكري إلى الأستاذ الدكتور **إبراهيم محمد زين** الذي وافق على الإشراف على هذه الرسالة وأشكره على ملاحظاته التسديدية وتوجيهاته القيمة ومتابعته الجادة لهذا العمل منذ أن كان فكرة فخطة ثم إعداداً نهائياً. وأشكر كل الأساتذة الممتحنين داخلياً وخارجياً على قراءتهم الدقيقة وملاحظاتهم القيمة التي ارتقت بهذا العمل إلى مدارج الجودة والإتقان.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان لأفراد أسرتي جميعاً وكذلك كل من حاورته أو استقصيته في ذات البحث أو مسائل أخرى تتمحور في إطار فكر ونظم السياسة في الإسلام شرعية كانت أم وضعية وأخص هنا بالذكر السفير الصديق **عبد الحميد الفيلكاوي** من الكويت الشقيقة والذي طالما أدهشتني ثقافته الشاملة. كما أشكر كل من أسدى لي نصحاً أو أعارني كتاباً أو قدم لي معونةً من أجل إتمام هذه الدراسة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة التصريح ..... هـ

إقرار بحقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الباب الأول: خطة الدراسة وهيكلها العام ١

المقدمة ١

مدارس الإصلاح في العصر الحديث ٦

إشكالية البحث ٨

أسئلة البحث ٩

منهج البحث ٩

أهداف البحث ١٠

الدراسات السابقة والمصادر ١٠

الباب الثاني: مفهوم الإصلاح في الإسلام ١٩

الفصل الأول ٢٠

الإصلاح في اللغة ٢٠

الإصلاح في المصطلح القرآني ٢١

مفهوم الإصلاح في السنة المطهرة ٢٦

الفصل الثاني: مفهوم الإصلاح الديني في الإسلام ٢٩
غاية الوجود الإنساني ٢٩
الرسالات السماوية ٣٢
الإصلاح الديني والمسيحية ٣٥
الإسلام الرسالة الخاتمة ٣٨
الإصلاح الديني في الإسلام ٤٤

الفصل الثالث: مفهوم الإصلاح الاجتماعي في الإسلام ٤٧
المجتمع الإسلامي الأول ٤٧
أنماط العلاقات داخل المجتمع المسلم ٤٩
مقومات المجتمع المسلم ٥٤
الضبط الاجتماعي في الإسلام ٥٧
الإصلاح الاجتماعي أو الحسبة في الإسلام ٦٠

الفصل الرابع: مفهوم الإصلاح السياسي في الإسلام ٦٤
مفهوم الخلافة ٦٤
مرحلة الانحطاط والحاجة للإصلاح..... ٧٠
المدارس الإصلاحية ٧١
الإصلاح من الداخل..... ٧٧
الإصلاح بالتغيير والمجابهة ٨٠

الفصل الخامس: مفهوم الإصلاح الاقتصادي في الإسلام ٨٣
النظام الاقتصادي الإسلامي ٨٣
الفساد المالي وسبل الإصلاح..... ٩٢
المفاسد في المال العام..... ٩٧

الباب الثالث: مفهوم الإصلاح في عهد عمر بن عبد العزيز ١٠٠
الفصل الأول **١٠١**
سيرة عمر بن عبد العزيز ١٠١
مقومات شخصيته ١٠٤
توليته الخلافة ١١١

الفصل الثاني: الإصلاح الديني في فترة عمر بن عبد العزيز **١١٨**

الفصل الثالث: الإصلاح الاجتماعي في فترة عمر بن عبد العزيز **١٤١**

الفصل الرابع: الإصلاح الاقتصادي في فترة عمر بن عبد العزيز **١٦٣**

الفصل الخامس: الإصلاح السياسي في فترة عمر بن عبد العزيز **١٨٣**

الخاتمة ٢٠٩

المصادر والمراجع..... ٢٢٥

الباب الأول
خطة الدراسة وهيكلها العام

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،

فقد ظل الإصلاح هما شاغلا للمسلمين منذ أن فشت في الأمة مظاهر الضعف والانحلال، وتراجع دور المسلمين إلى تبع للغالب من أهل الحضارات الغربية والشرقية. وقد اعتور الهم جل المفكرين المسلمين في العصر الحديث حول ماهية الإصلاح وكيفيته، واتبعوا في ذلك طرقا تباينت متبعةً ومبتدعة، يتعاور بعضها بعضا، وكل يظن في نفسه الهداية وفي غيره الغي والفساد . وقد تلمسوا مناهج بعضها مقتبس من الحضارة الغربية، معتبرين أن ما قدمته هذه الحضارة للإنسانية يمثل تقدما للعقل البشري، وصل درجة بعيدة في التحضر مع اعتناقه لمبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان جعلته يبدع في المجال المادي اقتصادا وسياسة وقوة عسكرية، أحرى بالاقتداء والإتباع . مما دفع خصومهم إلى[٢] القول بأن الحضارة الغربية خواء مادي ظاهر لا يقود البشرية إلا إلى هلاك بدأت بوادره في التفسخ الأخلاقي والاستبداد بالقوة واحتكار للثروة مصحوب بشح مطبوع. وينادي أنصار هذه المقولات الأخيرة بالرجوع إلى الإسلام في تجلياته الأولى وتلمس الهداية من مصادره الأولية من القرآن الكريم والسنة المطهرة وتاريخ السلف الصالح. وبين هاتين الطريقتين في التفكير مدارس شتى تقتبس من هذه وترد على تلك وكلها تنادي بالإصلاح .[٣]

انظر عبد الرحمن جبنكة الميداني، **صراع مع الملاحدة حتى العظم** (دمشق: دار القلم، ١٩٩٢م).

انظر علي جريشة، **الاتجاهات الفكرية المعاصرة** (القاهرة: دار الوفاء، ١٩٨٦م).

من أهم حركات البعث الإحيائي في العصر الحديث نجد حركة الإخوان المسلمين في مصر والتي كانت امتدادا لعصر التجديد ومفكريه الأفغاني وعبده ورشيد رضا والكواكبي وقبلهم خير الدين التونسي. وقد انتشرت هذه الحركة انتشارا

ومع تباين المناهج بين هذه المدارس الفكرية لدى المسلمين اختلفت طرق الإصلاح عندهم، حيث نادى بعضهم بثورة عارمة تقضي على الموروث القديم وتحدث صحوة في الوعي لدى الأمة والجماهير حتى تقوم بإحياء نهضة تبني وجودها على أسس حديثة وتتبنى القيم التي تنادي بها هذه المدارس. واعتبر أصحاب هذه المدارس، يمينها ويسارها، أنهم على نقيض مع الأوضاع القائمة وكفروا بها كفرا استحلوا معه تدميرها وإقامة "مدنهم الفاضلة" على أنقاض هذه النظم بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ونشأت دعوات لثورات "البلورتاريا" أو طبقات العمال، وكذلك دعوات لانتفاضة الجماهير أو الثورات البيضاء من أجل طرد الحاكم وإعادة الديمقراطية. ولازمتهما دعوات لتكفير المجتمع والدولة وإقامة حرب جهادٍ تقضي على مظاهر الكفر وتنشئ دولة المسلمين على أصولها الإيمانية الحقة. وقريب من هذه دعوات للانقلاب تتخذ العنف بشتى أنواعه سبيلا، ويجمع بينها رفض للقائم من النظم ودعوة للتغيير الجذري حتى يمكن قيام دعوة الإصلاح على أنقاض النظم السائدة [٤].

وظهرت أيضا عدة مدارس تنادي بإصلاح متدرج أو كما أسماه بعضهم بالبعث الحضاري. واتسمت هذه المدارس بمحاولاتها لتعريف الأزمة القائمة والتي أدت إلى اضمحلال دور المسلمين وتراجعهم، ثم نادت بعلاج هذه الأزمة بحسب توصيف مفكريها لأسباب الأزمة وطرق العلاج أو الإصلاح. ومن هذه المدارس الفكرية نجد مدرسة إسلامية المعرفة والتي نادى مفكروها بإصلاح مناهج المعرفة على عمومها والدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم على وجه الخصوص. وعندهم أن إصلاح مناهج التعليم يفضي إلى إصلاح مناهج المعرفة ومن ثم يحدث التغيير الحضاري على المستويات الأخرى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

واسعا في العالم الإسلامي ربما لمركزية مصر في العالم العربي الحديث. لمزيد من الضوء حول هذه الدعوة انظر سعيد حوى، **المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين** (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٤م).

يعد الكثيرون أن سيد قطب فهو رائد الفكر الذي انتهى إلى تكفير المجتمع وظهور الجماعات التكفيرية، بينما ينسب آخرون جماعات التكفير إلى الجماعات السلفية وشيخها محمد بن عبد الوهاب خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وحينها وجهت أصابع الأتهام إلى هذه الجماعة بتفريخ الإرهابيين. انظر سيد قطب، **نحو مجتمع إسلامي** (القاهرة: دار الشروق، ط ٩، ١٩٨٤م)، وكذلك محمد كامل ضاهر، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث** (بيروت: دار السلام للطباعة، ١٩٩٣م).

انظر *Towards Islamization of Disciplines, IIIT,* series no.6, 1981.

وتفاوتت هذه المدارس في تعريفها لمفهوم الإصلاح بحسب فهمها للأزمة واعتمادها لطرق الحل. وإن نادى الكثير منها بتبديل القائم من نظم باعتبارها جزء من الأزمة، إلا أنها لم تتبن طرقا عنيفة للتغيير وفضلت أن تعمل من داخل هذه النظم الموجودة دون مصادمتها، ما وجدت إلى ذلك سبيلا. غير أن معظم هذه المدارس غالبا ما يجد واقعا مخالفا حينما يبدأ في الممارسة العملية لتطبيق مقولاته مما يجعل بعضها يستجيب للضغوط ويصبح جزءا من النظم الماثلة، وبعضها يغير من طرق عمله وحتى تفكيره، وهناك من لا يجد فرصة للتعبير فيتحول إلى مثال المدارس التي تنادي بالتغيير الثوري أو تصبح معارضة في المنافي لا تأثير حقيقي لها في المجتمع [٦].

وقد ظهرت هذه التيارات باختلاف مذاهبها وفلسفتها خلال العصر الحديث في العالم الإسلامي وكلها تنادي بالإصلاح وتطالب بعودة الأمة الإسلامية والدول الإسلامية إلى دورها القديم الرائد في قيادة العالم. ولكن تباين هذه المدارس في فهمها لمعنى الإصلاح جعل توحدها حول رؤية جامعة تصبح دليلا للمسلمين، وتجمع العمل من أجل الإصلاح في بوتقة واحدة تصب في مصلحة الأمة، أمراً صعب المنال. وتناثرت جهود هذه الجماعات دون أن تتكامل بصورة أضعفتها جميعا وجعلتها عرضة لعدة عوامل داخلية وخارجية قللت من فاعلية تأثيرها. وقد أصبحت معظم حركات البعث الحضاري اليوم مهمشة أو مقموعة تبحث عن دور لها، فيما أحجم الكثير من المصلحين والمفكرين من أن يدلوا بدلوهم حتى لا يتهموا بالتعاطف أو بعضوية هذه الجماعات المطاردة . وفي الوقت نفسه تتعرّض الحكومات المسلمة لضغوط خارجية تفرض عليهم –كما يصف الكثيرون– حلولا مستوردة ودعوات للإصلاح صممت برامجها خارج إطار العالم الإسلامي وتحكمها قيم قد لا تتناسب وطبيعة المجتمعات في الدول الإسلامية. ولكن هذه الرؤية المتشككة جوبهت أيضا بأسئلة ملحة حول ماهية الإصلاح، وعما إذا كان هناك إصلاح ينبع من داخل المجتمعات الإسلامية، ويحقق

انظر يوسف القرضاوي، **حتمية الحل الإسلامي: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).

انظر: Hasan Askari, *Society and State in Islam* (New Delhi: Har Anand Publications, 1997).

للمسلمين ما يطمحون إليه من حياة كريمة وحرية وكرامة، وذلك من دون أن يكون هذا الحل أو الإصلاح مستوردا من الخارج، ودون أن يكون تطبيقه على حساب تمزيق نسيج الاستقرار والأمن، أو يجلب تطبيقه مفاسد درؤها كان أوجب . وفوق هذا وذاك يطلّ[٨] سؤال حول ما إذا كان هناك حقا مفهوم للإصلاح يمكن أن يقود عملية البعث الحضاري للمسلمين يعود بالأمة الإسلامية إلى موقعها الريادي بعد كل مظاهر الانحطاط التي تعاني منها الدول الإسلامية في مختلف قطاعاتها الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومن هذا المنعطف يأتي استرجاع سيرة عمر بن عبد العزيز من قبل الكثيرين كدليل على مقدرة الأمة الإسلامية على القيام بالإصلاح بعد عهود من الانحراف الداخلي مثل الذي أصاب الدولة الأموية من جراء عدة عوامل داخلية وخارجية، إثر تزايد النزاعات وتفشي المعارضات المسلحة بعد وفاة مؤسس الدولة معاوية وابنه يزيد . وقد أضطر الحكام [٩] من بعدُ على الاستبداد وإحكام القبضة الأمنية على أطراف الدولة الإسلامية بواسطة الولاة الذين بسطوا لهم الأمر. إلا أن الاستبداد كانت عاقبته وخيمة حيث عطلت الشورى وتفشى الظلم حتى قال عمر بن عبد العزيز قولته المشهورة: "الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكة!.. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا، فأرح الناس.." . والواقع إن بني أمية لم يعطلوا الحدود، ولم يحبسُوا جيوش المسلمين عن الجهاد في سبيل الله، وأقاموا الصلوات والجمع وسيروا الوفود للحج. إلا أن تطاول عهد الاستبداد وزيادة النعمة جعل هؤلاء الحكام ينحرفون في تقسيم الأموال وينغمسون في الملذات والملاهي، بخلاف سيرة السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وصارت الدولة الإسلامية ضيعة يتوارثها بنو أمية ويستبدون فيها بالأمر دون المسلمين . [١]

وقد جاءت ولاية عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك الذي عقد ولاية العهد لعمر، فأحدثت خلافته تغييرا كبيرا في المجتمع المسلم آنذاك، حتى تم تسمية عمر

---

٨ انظر: Gema Martin (ed.), *Islam Modernism and the West* (London:I.B. Tauris, 1999)

٩ انظر ابراهيم بيضون، **ملامح التيارات السياسية في القرن الهجري الأول** (بيروت: دار النهضة للطباعة، ١٩٧٩).

١ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ج٤، ص ٢٢٢.

انظر برهان غليون، **نقد السياسة: الدولة والدين** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م).

بالخليفة الراشد الخامس . وقد بدأ ولايته برد الأموال والمظالم التي اجترحها بنو أمية من بيت مال المسلمين أو من المسلمين دون وجه حق، ثم أعاد مصارف المال على ما كانت عليه أيام الراشدين. وبعدها أدخل عمر الجميع في سلام عام واستطاع بذلك ضبط الاستقرار وأمن دولة المسلمين حتى عادت جماعات الخوارج إلى حظيرة المسلمين العامة، وقبلت المعتزلة الدخول في سلك خدمة الدولة بعد فترات طويلة من القطيعة والرفض. وقام عمر بتغيير ولاة الولايات والتزم في ذلك سيرة عمر بن الخطاب، حيث اشتهر بمراقبته للولاة ومحاسبتهم وعزلهم، وفتح أبوابه للرعية وعاش بينهم متمثلا سيرة الصاحبين وعثمان في أول عهده وعلي، مما أحدث نقلة في كل المستويات الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية في المجتمع المسلم في ذلك الوقت .[١][٣]

ولكن الفترة القصيرة التي عاشها عمر بن عبد العزيز بوصفة خليفة تفتح الباب للتساؤل عما إذا كان ما قام به هذا الخليفة العادل هو حقا إصلاح عاد بالدولة الإسلامية إلى سيرتها الأولى وأصولها العقدية والسياسية والاجتماعية التي قامت عليها أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأيام خلفائه الراشدين. ولعل هذا التساؤل مرده إلى أن عمر بن عبد العزيز جاء إلى الخلافة بعهد من الخليفة الأموي الذي سبقه لا بشورى من جماعة المسلمين كما هو الحال في عهد الراشدين، وقد تركها كما هي ولم يستطع تغيير أصول ولاية العهد الأموية حتى عادت لمن أوصى له سليمان بن عبد الملك بعد عمر. كما أن معظم ما أقامه عمر عاد كسيرته الأولى بعد رجوع الأمر إلى ولاة بني أمية مرة أخرى بعد وفاته حيث لم تكن هناك مؤسسات قائمة بصورة تضمن ضبط الأمور، عادت الدولة الأموية تسير على منهاجها القديم حتى اغتالتها ثورات خراسان ودعوات العباسيين ومن ساعدهم من الطالبيين، وكأن عمر بن عبد العزيز قد جاء فقط ليضخ دماء جديدة في جسد الدولة الأموية المتهالكة ويجعلها تعيش أياما أكثر حتى تحين نهايتها المحتومة.

انظر وهبة الزحيلي، **الخليفة الراشد العادل: عمر بن عبد العزيز** (بيروت: دار قتيبة للنشر، ط٣، ١٩٩٨م).

انظر عماد الدين خليل، **ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٥م).

هذه التساؤلات تفتح الباب واسعاً لدراسة مفهوم الإصلاح في الإسلام في ضوء النموذج القرآني والسنة النبوية المطهرة، مع الاستفادة من كتب التفسير ومعاجم اللغة وسيرة السلف الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. ونفس هذه التساؤلات نفسها تجعل من فترة عمر بن عبد العزيز نموذجاً مثالياً لمعرفة مقدرة الأمة على القيام بإصلاح حقيقي ينبع من داخلها. وتتيح مثل هذه الدراسة الفرصة لمعرفة المقومات الذاتية والموضوعية التي مكنت عمر بن عبد العزيز من تنفيذ ما قام به من أعمال، وكذلك معرفة مظاهر القصور التي لم تساعد على التمكين للتجربة العمرية في دولة بني أمية بعد وفاته. وسيتضح من خلال هذه الدراسة ما إذا كان ما قام به عمر بن عبد العزيز إصلاحاً حقيقياً أم هو مجرد دفعة معنوية ضخها الخليفة العادل في جسد الدولة الأموية فزادها قوة وعنفواناً.

مدارس الإصلاح في العصر الحديث:

ولعل هذا البحث لن يكون من العمق إذا لم يتطرق إلى الأزمة الطاحنة التي تعيشها الأمة الإسلامية، ومظاهر الانحطاط التي تعيشها الدول الإسلامية من تخلف على كل المستويات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي كل مجالات العلوم والتكنولوجيا الحديثة. وقد حرك هذا الواقع الكثير من المفكرين المسلمين ودفعهم بالمناداة بإصلاح شامل يعيد للمسلمين تاريخهم ومجدهم القديم. والجدير بالذكر هنا مقالة للمستشرق ريتشارد دكمجيان والذي يرى أنه على امتداد تاريخ المسلمين، فإن حدوث ما أسماه "الانبعاث الإسلامي" وثيق الارتباط بفترات الاضطراب الشديد عندما كان الخطر يتهدد وجود الأمة الإسلامية فيجد ذاته وتماسكها الروحي. وقد ضرب كمجيان مثلا بعدة دورات للأزمات والاستجابات الإصلاحية [الأصولية في نظره] التي نتجت عنها في تاريخ المسلمين. وقد برز عنده عمر بن عبد العزيز والثورة العلوية/العباسية كاستجابة للضعف الأموي على المستويين المادي والروحي. ومثل ذلك ما حدث من ظهور ابن تيمية بعد سقوط العباسيين وشاه

إسماعيل وظهور الشيعة في العراق بعد الغزو المغولي والتركي وظهور حركات الإحياء مثل الوهابية في الجزيرة والسنوسية في ليبيا والمهدية في السودان عند ضعف العثمانيين [٤].

أما في العصر الحديث فقد كانت مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا أو ما يمكن تسميته بتيار الجامعة الإسلامية، وما تلاها من حركات الإخوان المسلمين في مصر وجماعة المودودي في الباكستان أو تيار الحركات الجماهيرية، نماذجاً للاستجابة الإصلاحية على الواقع الذي نتج من تدهور وسقوط الخلافة العثمانية وبداية الغزو والاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين. وحتى لا تغفل هذه الدراسة تيارات أخرى فإن العالم الإسلامي شهد مدارس أخرى للإصلاح يسارية التوجه أو علمانية غربية أو قومية عربية كلها نتجت استجابة للتخلف والتدهور في الدول الإسلامية في مواجهة التقدم الغربي، فهي في أصلها مواجهة للتخلف الموروث ومواجهة للتغريب الوافد.

وعلى كثرة هذه المدارس الإصلاحية فان الأمة الإسلامية ما تزال تنتظر انبعاث نهضة إصلاحية جديدة، تبعث الأمل في قلب هذه الاحباطات المتوالية. ويرجع ذلك إلى أن جهود المدارس الإصلاحية، على الرغم من أن الكثير منها قد نزل فعلا إلى ساحة العمل والتجربة، ما تزال في طور البحث عن المنهج الأقوم للإصلاح. فهي تعكس في طبيعة تكوينها واستراتيجياتها عمق التوترات والصراعات والاحباطات التي لا يكف النظام الاجتماعي للأمة الإسلامية الحاضرة في توليدها ومراكمتها. ولعل العدوانية التي تظهرها بعض هذه الفئات الإصلاحية المتطرفة ليست انعكاسا للروح الدينية التي تحتويها ولكنها التعبير عن الشعور بانسداد الآفاق وبالتهديد والتهميش والانعزال وغياب الإمكانيات والوسائل المنظورة لتجاوز واقعها المزري [٥] [١].

وتأتي أهمية الاجتهاد لمعرفة المنهج الأمثل للإصلاح من عدة عوامل تاريخية أهمها ما تم تسميته بقفل باب الاجتهاد في القرن الثامن الهجري وما تبعه من تراجع فكري على كل المستويات في الأمة الإسلامية. وقد أدى هذا إلى فقر في الفهم جعل الحركات الإصلاحية

---

[٤] انظر ريتشارد هربر دكمجيان، **الأصولية في العالم العربي**، ترجمة عبد الوارث سعيد (القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، ص٢٨.

[٥] برهان غليون، **نقد السياسة: الدين والدولة** ، ص٥-٢١. [١]

الحديثة تتخبط في البحث عن جذور الأزمة، وتبعا لذلك اختلف مفهوم هذه الحركات حول الإصلاح ومناهجه. وكذلك فإن التحول الكبير الذي طرأ على الأمة الإسلامية بنشأة الدولة القومية أو القطرية قد أحدث هزة كبيرة في الفكر الإصلاحي والذي لم يتعود على الحديث إلا عن الأمة الإسلامية الموحدة. وقد أدى تطور الدولة القومية إلى تطور وسائل الحكم بحيث لم يصبح من السهل التغيير الجذري إلا بالثورات العنيفة والانقلابات العسكرية التي لم تفلح إلا في إقامة نظام مكان نظام دون إجراء أي إصلاح على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، فيما عدا ثورة الشيعة في إيران. ولكل هذا تبرز اليوم أكثر من أي وقت مضى الحاجة لدراسة الإصلاح دراسة دقيقة ومتأنية وذلك حتى نسهم في التوصل إلى مفهوم شامل للإصلاح يمكن بعده إن تبدأ النهضة المرجوة.

إشكالية البحث:

تتناول هذه الدراسة مفهوم الإصلاح في الإسلام، وتتخذ من فترة خلافة عمر بن عبد العزيز نموذجا للدراسة. ويحاول الباحث هنا تعريف مفهوم الإصلاح في الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح بأبعاده الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وتأتي إشكالية البحث من أن التناول الفلسفي للموضوع أو مجرد تعريف المصطلح وتحديد أبعاده عبر مراجعة كتب التفاسير ومعاجم اللغة، لن يخدم قضية الإصلاح في تنزيلها على واقع المسلمين. وسيظل الإصلاح مجرد قضية فلسفية يمكن الاختلاف حولها أو حتى ردها. ولهذا فإن دراسة فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ستسمح بتطبيق المفهوم على فترة زمنية ووقائع تاريخية حقيقية، مما سيساعد في إيجاد إجابات عن الأسئلة التي يطرحها هذا البحث.

ويدور موضوع البحث حول ما إذا كان مفهوم الإصلاح في الإسلام هو مفهوم عملي يمكن استنباطه من تعاليم الإسلام ومعرفة مقوماته بصورة يمكن معها تطبيقه في مجتمعات المسلمين اليوم. وهل هناك فعلاً مشروع للإصلاح ينبع من داخل المجتمعات المسلمة دون الحاجة إلى استيراد حلول غربية وبرامج ومشاريع يتم إملاؤها من الخارج. وهل مشاريع الإصلاح في الإسلام لابد لها أن تتبنى رفض الموجود والقائم من النظم، أم أنه يمكنها البناء على ما هو قائم أصلاً دون الحاجة إلى ثورة حمراء أو بيضاء، ودون أن ينسف الاستقرار والأمن. وهل يمكن

أن تنجح مشاريع الإصلاح إذا كان الفساد قد تأصلت جذوره وضرب بأطنابه في أركان المجتمعات الإسلامية، وفي ظل تربص خارجي لا يهدأ.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تستلهم الواقع والحاضر بعد أن تكاثرت الدعوات للإصلاح من داخل وخارج المجتمعات الإسلامية وخارجها، خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. وقد بدأت تظهر في دول الإسلام استجابات للإصلاح بعضها من حكومات الدول المسلمة وبعضها من الشعوب التي ارتفع صوت فريق منها يطالب بالإصلاح وبالحرية والديمقراطية. وكان لزاماً في هذا الواقع من وجود دراسات تستلهم القيم الحضارية لهذه الأمة والنابعة من تراثها الديني وأصوله في القرآن والسنة حتى يمكن المساهمة في جمع المسلمين على كلمة سواء، وبرنامج للإصلاح يناسب هذه المجتمعات والنظم القائمة دون الحاجة للاستجابة أو الوقوع تحت طائلة الضغوط الخارجية أو القيام بما يجلب مفاسد درؤها كان أوجب.

أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الإصلاح في الإسلام؟ وما أبعاده الدينية والاقتصادية والاجتماعية؟
٢. ما العوامل التي يمكن أن تؤثر في نجاح الإصلاح؟
٣. ما مفهوم الإصلاح عند عمر بن عبد العزيز؟ وما الأبعاد الدينية والاجتماعية والاقتصادية لما نفذه أثناء فترة خلافته؟
٤. ما المقومات التي ساعدت عمر بن عبد العزيز على تنفيذ برنامجه الإصلاحي بعد توليه الخلافة؟
٥. ما العوامل التي أثرت على تجربة عمر بن عبد العزيز والبرامج التي نفذها أثناء خلافته؟
٦. ما الدروس المستفادة من تجربة عمر بن عبد العزيز؟ وهل يمكن اعتبارها نموذجا للإصلاح يمكن استلهامه في معالجة المشكلات الحالية في مجتمعات المسلمين؟

منهج البحث:

يقوم منهج البحث على الآتي:

١. اعتماد المنهج الاستقرائي في جمع متناثرات الموضوع في آيات القرآن الكريم وكتب السنة الصحاح وكتب التفسير ومعاجم اللغة، مشفوعاً بقراءات السابقين واللاحقين حول مفهوم الإصلاح في الإسلام.
٢. اعتماد المنهج التحليلي بغية رسم المناهج والرؤى التي حوتها المدارس الفكرية المختلفة حول مفهوم الإصلاح.
٣. انتهاج المقارنة سبيلاً للموازنة بين مفهوم الإصلاح عند عمر بن عبد العزيز مع من سبقه من الخلفاء مقرونة بقراءتنا لعصر عمر بن عبد العزيز والمقومات التي ساعدت في تكوين شخصيته والعوامل الداخلية والخارجية التي أثرت على فترة خلافته.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. محاولة تعريف وتحديد مفهوم الإصلاح في الإسلام وأبعاده الدينية والاقتصادية والاجتماعية.
٢. محاولة فهم تجربة عمر بن عبد العزيز والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته.
٣. تحليل فترة خلافة عمر بن عبد العزيز ومعرفة المقومات التي ساعدت في تنفيذ برنامجه الإصلاحي.
٤. عرض وتحليل إسهامات واجتهادات عمر بن عبد العزيز والتي تصب في خانة الإصلاح أثناء توليه للخلافة.
٥. عرض كيفية الاستفادة من دراسة الواقع التاريخي في معرفة تطور المفاهيم الإسلامية خصوصا فيما يتعلق بالإصلاح ومحاولة مقاربة هذا الفهم مع الواقع الحاضر لمجتمعات المسلمين.

الدراسات السابقة والمصادر:

يتضح من عرض إشكالية هذا البحث أن هناك عدة أنواع من المصادر التي يتعامل معها الباحث، حيث أنه ملزم أولا بالرجوع إلى القرآن الكريم، وجملة من كتب التفسير خصوصا التفسير الموضوعي للقرآن منها، فضلا عن رجوعه إلى كتب السنة الصحاح ومجموعة من معاجم اللغة العربية لتتبع أصل مفهوم الإصلاح، ومعناه، ومبناه ومقوماته، وأبعاده الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا البحث في علم المصطلح مهم لأن الإصلاح يمكن أن يرد تحت عدة مسميات تؤدي المعنى نفسه، وقد اشتهرت منها مصطلحات التغيير، والبعث الحضاري، وفي عصرنا الحاضر اشتهر مصطلح التجديد. هذا فضلا عن أن القرآن الكريم يشمل كل تجارب الرسل الكرام وما قاموا به من إصلاح متعدد الأبعاد والجوانب بحسب الفترة التي جاء فيها الرسل، ويمكن لكتب التفسير أن تضيف الكثير في معرفة هذه الأبعاد ودلالاتها. والقصص القرآني في هذا المجال يدور حول الإصلاح متبعا حياة الرسل الكرام وأصول دعوتهم الربانية. وفيما كانت الدعوة الإبراهيمية والدعوة المحمدية شاملة في دلالاتها الإصلاحية، نجد إن دعوات بعض الرسل الكرام مثل شعيب ولوط وهود قد جاءت لإصلاح جانب أخلاقي أو اقتصادي أو اجتماعي قد تهدم. ومثل هذه الدراسة قد تفيد في التأكيد على إمكانية الإصلاح دون هدم البناء بالكامل.

أما الشق الثاني من المصادر التي سيعتمد عليها البحث فهي ما كان عاما في تاريخ المسلمين الأوائل، خصوصا ما تعلق منها بالدولة الأموية والظروف التي نشأت فيها وتطورها عبر عصور مختلف الأئمة والخلفاء. ومثل هذه الدراسة تقدم إضافة موضوعية حول الملابسات التي أدت إلى الانحراف، وحول ماهية هذا الانحراف والسبل الكفيلة بإصلاحه. ويمكن إن تقدم لنا دراسة مثل هذه المصادر منهجا لتحليل الواقع الحاضر ومقارنة أسس الانحراف ودوافعها. وفي هذا الجانب نجد كتاب الإمام الزهري "المغازي" وكذلك كتاب "المغازي" للواقدي وما جاء به الطبري[٧] في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" والذي يعطينا

انظر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، **المغازي النبوية** (دمشق: دار القلم، ١٩٨٩م).

انظر محمد بن عمر الواقدي،[٧] **كتاب السير والمغازي** (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧م).

انظر محمد بن جرير الطبري،[٨] **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد بن أبي الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٩٧١م).

تفاصيل وافية لتاريخ الدولة الأموية خصوصا إذا ما أضيف إليه كتاب البلاذري في الأنساب وفتوح البلدان لما فيه من تفاصيل حول العصرين السفياني والمرواني من دولة بني أمية فضلا عن ثورات المعارضة خلال هذه العهود.

وتأتي بعد هذا مجموعة من الدراسات التي تناولت سيرة عمر بن عبد العزيز وفترة خلافته، ومن أقدم هذه الدراسات التي تناول فيها أصحابها شخصية عمر بن عبد العزيز وسيرته نجد كتاب أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم في كتابه "سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه" وبهذا الكتاب نصوص مروية عن مالك بن أنس تدور حول حياة عمر بن عبد العزيز منذ البداية وحتى وفاته، وهي نصوص شاملة وذات صلة بعهده وسياسته في إدارة الدولة الإسلامية. ومثله كتاب أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري "أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته" وكذلك كتاب "سيرة عمر بن عبد العزيز" لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي والذي يقول عن عمر بن عبد العزيز أن سيرته تنبه أولي الأمر على أولي الأمر، فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات. وهذه المصادر تتميز بقرب عهدها من فترة عمر مما يجعلها أقدر على تصوير روح العصر بصورة دقيقة، وكذلك تتميز بتوثيقها الدقيق للرواة وللخبر كما هو الحال في عصر التدوين. على أن الفترة التي كتبت فيها مثل هذه المصادر تتميز بالتباين الحاد في وجهات النظر خصوصا حول الأئمة والحكام والذين كثرت فيهم المرويات المادحة والقادحة مما يستوجب التريث في اخذ الأخبار عنهم ومتابعة مصادرها قبل الأخذ بها.

انظر أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

انظر عبد الله بن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الأمام مالك بن أنس وأصحابه** (دمشق، دار الفكر، ١٩٥٤م).

انظر محمد بن الحسين الآجري، **أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨١م).

انظر عبد الرحمن بن الجوزي، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق محب الدين الخطيب (مصر: مكتبة المنار، ١٣٣١ هـ).

وهناك مجموعة أخرى مثل هذه الدراسات تناولت سيرة عمر بن عبد العزيز ولكنها لم تقدم له بصورة منفصلة مثل المجموعة الأولى وإنما أوردت سيرته ضمن موضوعات أخرى. ومن هذه الدراسات نجد كتاب "الطبقات الكبرى" لمحمد بن سعد والذي يمثل دراسة شاملة لسير وتراجم رواة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أفرد فيه ثمانيا وسبعين صفحة لسيرة عمر بن عبد العزيز. ومثله كتاب "المعرفة والتاريخ" للبسوي وكذلك كتاب الأصفهاني "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" وكتاب "التاريخ" لخليفة بن خياط والذي اهتم في مصنفه بوضع جداول بأسماء الولاة والموظفين وغيرهم من عمال الدولة في فترة خلافة كل خليفة على حدة. وهذه المصادر تتميز بشمولها حيث تروي عن الفترة التاريخية وتربطها بالرجال الذين عاشوا في تلك الفترة مما يسلط الضوء بصورة أكبر عن الواقع الذي عاش فيه سيدنا عمر بن عبد العزيز والرجال الذين كانوا حوله وأعانوه أو خذلوه في محاولته للإصلاح.

ومن الكتب والمصادر الحديثة نجد كتاب أحمد زكي صفوت "عمر بن عبد العزيز" وكتاب عبد العزيز سيد الأهل "الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز" وكتاب صالح أحمد العلي "عمر بن عبد العزيز: خامس الخلفاء الراشدين" والكثير من الكتب الأخرى على مثالها، والتي جاءت على منحى كتاب السيرة الأوائل في تناولها فضائل عمر بن عبد العزيز ورصد جوانب من حياته من ميلاده إلى وفاته. يستفيد الباحث من هذه الكتب في النظر إلى المنهج الذي اتبعه هؤلاء الباحثون، خصوصا وأن الاعتماد على المصادر القديمة يغني عن الحاجة إلى سيرة عمر عند من كتب فيها من المتأخرين. وعادة لا تتبع مثل هذه الكتب

انظر محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت، ١٩٥٧م).

انظر يعقوب بن سفيان البسوي، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت، ١٩٧٤م).

أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت، ١٩٦٧م).

انظر خليفة بن خياط بن خليفة البصري، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت، ط٢، ١٩٧٧م).

انظر أحمد زكي صفوت، **عمر بن عبد العزيز** (القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م).

انظر عبد العزيز سيد الأهل، **الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز** (بيروت، ١٩٧١م).

انظر صالح أحمد العلي، **عمر بن عبد العزيز: خامس الخلفاء الراشدين** (بيروت: شركة المطبوعات للنشر، ٢٠٠٠م).